

بتاريخ ١٩ من جمادى الأولى ١٤٤٨ هـ الموافق ٣٠ / ١٠ / ٢٠٢٦ م

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ. وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ أَحْسَنَ الْقَصَصِ، وَأَكْثَرُهُ نَفْعًا، وَأَعْظَمُهُ حِكْمَةً وَأَثَرًا، مَا قَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ﴾ [يوسف: ٣]، فِي قِصَصِ الْقُرْآنِ عِبْرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ، وَتَذَكُّرَةٌ لِفِتْنَةِ الْمُؤْمِنِينَ، أُولَى الْقُلُوبِ النِّقِيَّةِ، وَالْعُقُولِ الرَّكِيَّةِ.

وَمِمَّا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ قِصَّةُ سَبَأٍ، مُلُوكِ الْيَمَنِ وَأَهْلِهَا، الَّذِينَ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالنِّعَمِ الْعَظِيمَةِ، وَالْخَيْرَاتِ الْوَفِيرَةِ، فَكَانُوا فِي عَيْشٍ رَغِيدٍ هَنِيٍّ، وَرِزْقٍ وَفِيرٍ جَلِيٍّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ: ١٥]. فَكَانَ لَهُمْ وَادٍ عَظِيمٌ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَبَنَى مُلُوكُهُم بَيْنَهُمَا سَدًّا عَظِيمًا مُحْكَمًا، تَجْتَمِعُ فِيهِ سُبُلُ أَمْطَارِهِمْ، ثُمَّ يُفَرِّقُونَهُ عَلَى بَسَاتِينِهِمْ وَدُورِهِمْ، عَنْ يَمِينِ ذَلِكَ الْوَادِي وَشِمَالِهِ، فَغَرَسُوا الْأَشْجَارَ الْكَثِيرَةَ، وَأَثْمَرَتْ لَهُمُ الْفَاكِهَةُ الْيَانِعَةُ الْجَمِيلَةُ، قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ الْمَرْأَةَ كَانَتْ تَمْشِي تَحْتَ الْأَشْجَارِ، وَعَلَى رَأْسِهَا مِكْتَلٌ، فَيَسَاقُطُ مِنَ الْأَشْجَارِ فِي ذَلِكَ مَا يَمْلُؤُهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى كُلْفَةٍ وَلَا قِطَافٍ؛ لِكَثْرَتِهِ وَنُضْجِهِ).

عِبَادَ اللَّهِ:

وَبَيْنَمَا أَهْلُ سَبَأٍ فِي الْغُبْطَةِ وَالشُّرُورِ، وَالنَّضْرَةِ وَالْحُبُورِ؛ أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِشُكْرِهِ وَطَاعَتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَيَرْحَمَهُمْ، فَقَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾.

وَكَانَ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: أَمْنُ الدِّيَارِ، وَتَقَارُبُ الْقُرَى بَيْنَهُمْ وَالْأَمْصَارِ؛ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾، فَكَانَ مُسَافِرُهُمْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِمْلِ زَادٍ وَلَا مَاءٍ، بَلْ حَيْثُ نَزَلَ وَجَدَ مَاءً وَثَمَرًا، يَقِيلُ فِي قَرْيَةٍ، وَيَبِيتُ فِي أُخْرَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَأْثُرَ وَيَأْمَنُوا مَأْمِنِينَ﴾.

فَاسْتَمَرُّوا عَلَى عَيْشِهِمُ الْهَنِيِّ، وَطَاعَتِهِمُ لِلْمَوَلَى الْعَلِيِّ، إِلَى أَنْ أَغْوَاهُمُ الشَّيْطَانُ، وَأَرَادَهُمْ فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، فَأَعْرَضُوا عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَشَكَرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَعَدَلُوا إِلَى عِبَادَةِ الشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَبَطَرُوا النِّعْمَةَ، وَمَلَّوْا مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْمَنَةِ، فَطَلَبُوا تَبَاعُدَ دِيَارِهِمْ بَعْدَ قُرْبَاهَا، وَتَمَنَّوْا مَشَقَّةَ الطَّرِيقِ بَعْدَ يُسْرِهَا؛ ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾، وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْعِنَادِ، وَالظُّلْمِ وَالشَّقَاقِ، فَحَلَّ عَلَيْهِمْ سَخَطُ الْجَبَّارِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ غَضَبَهُ وَالْبَوَارِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْرِضُوا قَارِسَنَا عَلَيْهِمْ سَبِيلَ الْعَرِمِ﴾، الَّذِي أَتَفَفَ سَدَّهُمْ، وَخَرَبَ بَسَاتِينَهُمْ؛ ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾، فَتَبَدَّلَتِ الْأَشْجَارُ الطَّيِّبَةُ، وَالثَّمَارُ الْهَنِيَّةُ، إِلَى أَشْجَارٍ قَلِيلَةِ النِّفْعِ، كَثِيرَةِ الشَّوْكِ، ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ﴾. عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (جَزَاءُ الْمَعْصِيَةِ الْوَهْنُ فِي الْعِبَادَةِ، وَالضِّيقُ فِي الْمَعِيشَةِ، وَالتَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ). قِيلَ: وَمَا التَّعَسُّرُ فِي اللَّذَّةِ؟ قَالَ: (لَا يَنَالُ شَهْوَةً حَالًا إِلَّا جَاءَهُ مَا يُنْغِصُهُ إِيَّاهَا).

عِبَادَةُ اللَّهِ:

لَقَدْ أَهْلَكَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ سَبَا، وَعَاقَبَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَجُحُودِ نِعْمَتِهِ، ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾؛ أَيُّ: جَعَلْنَاهُمْ حَدِيثًا لِلنَّاسِ يَتَحَدَّثُونَ عَنْ أَخْبَارِهِمْ، وَكَيْفَ مَكَرَ اللَّهُ بِهِمْ، وَفَرَّقَ شَمْلَهُمْ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ وَالْأَلْفَةِ وَالْعِيشِ الْهَنِيِّ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾؛ صَبَّارٌ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالشَّدَائِدِ، لَا يَتَسَخَّطُهَا، شَكُورٌ لِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي طَاعَتِهِ يَصْرُفُهَا.

بَارَكَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَنَفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَأَوْصِيَكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ وَقَاهُ، وَعَصَمَهُ وَأَوَاهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَصَّهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ شَأْنِ قَوْمِ سَبَأٍ آيَةٌ جَلِيلَةٌ، وَعِبْرَةٌ عَظِيمَةٌ، كَيْفَ تَبَدَّلَ الْعَيْشُ الْهَيْئَتِي بِالْخَرَابِ الْجَلِيِّ، وَكَيْفَ حَلَّ الْخَوْفُ وَالذُّعْرُ بَعْدَ الْأَمْنِ؛ لِدَهَابِ الشُّكْرِ، وَالْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ يَتَّعِظُ بِمَا قَصَّهُ اللَّهُ مِنَ الْخَبَرِ، وَيَسْتَلْهِمُ مِنْهُ الْحِكْمَةَ وَالْعِبَرَ.

فَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ: وَجُوبُ شُكْرِ النِّعَمِ بِالْقَلْبِ، وَاللِّسَانِ، وَالْجَوَارِحِ، قَالَ تَعَالَى لِسَبَأٍ: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾. قَالَ مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (نِعَمَ الْعَبْدُ الصَّبَّارُ الشَّاكِرُ، الَّذِي إِذَا أُعْطِيَ شُكْرًا، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبْرًا).

وَمِنْ الْحِكَمِ وَالْعِبَرِ: أَنَّ النِّعَمَ تَزُولُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي سَبَأٍ: ﴿وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾. فَتَأَمَّلُوا أَثَرَ الْمَعَاصِي، كَيْفَ لَا أُمَّةٌ مُمَكَّنَةٌ فِي أَرْضِهَا، تَرْفُلُ فِي خَيْرَاتِهَا، وَمَغْفِرَةِ رَبِّهَا، إِذْ تَغَيَّرَتْ أَحْوَالُهَا، وَتَبَدَّلَتْ أَثَارُهَا! قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَمِنْ عُقُوبَاتِ الْمَعَاصِي أَنَّهَا تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقَمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ).

وَمِمَّا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ: الْحَذَرُ الشَّدِيدُ، وَالْخَوْفُ الْأَكِيدُ، مِنْ إِلْفِ النِّعَمَةِ وَاعْتِيَادِهَا، وَطَلَبُ غَيْرِهَا أَوْ الْإِسْتِبْدَالِ بِهَا، كَمَا فَعَلَ قَوْمُ سَبَأٍ، طَلَبُوا وَتَمَنَّوْا أَنْ تَتَبَاعَدَ أَسْفَارُهُمْ بَيْنَ تِلْكَ الْقُرَى، بَعْدَ أَنْ كَانَ السَّيْرُ فِيهَا سَهْلًا مُتَسِّرًا، ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعِدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

وَمِنْ هِدَايَةِ الْآيَاتِ: عِظْمُ نِعْمَةِ الْأَمْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾، وَلَقَدْ أَمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَقَالَ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُحِصَنِ الْأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، آمِنًا فِي سِرِّهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا». [رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَةَ، وَحَسَنُهُ الْأَلْبَانِيُّ]. □

فَتَأْمَلُوا، رَعَاكُمْ اللهُ، فِي حَالِكُمْ، وَمَا تَعِيشُونَهُ الْيَوْمَ مِنْ أَمْنٍ عَلَى الْيُتُوتِ وَالْأَوْلَادِ، وَصِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

اعْتَبِرُوا بِمَا يَجْرِي حَوْلَكُمْ، وَاجْتَنِبُوا أَسْبَابَ الْهَلَاكِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّسَخُّطَ وَالتَّشَكِّيَ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، وَالِاسْتِخْفَافَ بِالنِّعَمِ، وَاحْذَرُوا مِنَ الشَّيْطَانِ وَكَيْدِهِ، فَإِنَّهُ غَرَّرَ بِسَبَأٍ حَتَّى أَوْرَدَهُمُ الْمَهَالِكَ؛ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى صَاحِبِ الْوَجْهِ الْأَنْوَرِ، وَالْجَبِينِ الْأَزْهَرِ، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرَرِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى هَدْيِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْمَحْشَرِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ؛ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، رَبَّنَا ارْفَعْ عَنَّا الْبَلَاءَ وَالْوَبَاءَ، وَالضَّرَاءَ وَالْبَأْسَاءَ، وَأَدِّمْ عَلَيْنَا النِّعَمَ، وَادْفَعْ عَنَّا النِّقَمَ، وَزَكِّ نُفُوسَنَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ أَمِيرَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِهِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَخُذْ بِنَوَاصِيهِمَا لِلْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَاجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا مُطْمَئِنًّا، سَخَاءَ رِخَاءَ وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ.

لجنة إعداد الخطبة النموذجية لصلاة الجمعة